

مستشفى المؤاساة

معهد قومي انساني^(١)

قد نعترب اجتماع القومية والانسانية في معهد واحد . ولكن اذا شئت ان ترى خاتين الزعتين ممثلتين في قالب خالص من الفن والعلم والخدمة العامة فعليك زيارة مستشفى المؤاساة في الاسكندرية . بل اذا شئت ان ترضي ما يجول في صدرك من عزة قومية ، ورحمة وحنان ، فبذل في سبيل مستشفى المؤاساة ما تستطيع . فهو معهد مهني مصري ، يفاخر به في ابي بلاد من بلدان الله . وهو منشأة قومية يصح ان تكون مدرسة ومثلاً للمنشآت القومية النافعة في الشرق ، القائمة على الرحمة والايثار والتعاون

كانت جمعية المؤاساة الاسلامية ، تعنى بجمع المال من المحسنين لتوزعه على الفقراء والمساكين فرأت بعد ممارسة هذا الغرض الشريف بضع سنين ان تنشئ مستشفى يكون ملاذاً وموتلاً لمرضى البائسين وعملاً قومياً ينهض امام مستشفيات الجاليات الاوربية دليلاً على تنبئه الامة المصرية الى المطالب الانسانية العليا وسخائها في سبيل تحقيقها ، ومثالاً للمشروعات العظيمة التي تقوم بها الجماعات الطيرية الاهلية . وقد احسنت الجمعية ، في قرارها ان لا يقتصر المستشفى على المصريين بل يرحب « بمعالجة من يدخل فيه من الاجانب على اختلاف اجناسهم ودياناتهم اذ ان الانسانية لا تعرف القوارق ولا تميز بينها » - تقرير ١٩٣١ - صفحة ٦ - فندب الدكتور احمد النقيب الجراح الاسكندري للذهاب الى اوربا وزيارة المستشفيات لاختيار اصح نموذج منها يصلح لمدينة مصرية كبيرة كالاسكندرية فرار انكترا وفرنسا والمانيا والنمسا وطاد بتقرير في مصب اقرت الجمعية مبادئه واقلمت على تحقيق غرضها ، وهي لا تملك الا الايمان بالله والاخلاص للوطن وللانسانية ، والثقة بأن جلالة ملك البلاد وحكومتها والشعب المصري والجاليات الاجنبية تؤيدها في هذا العمل النبيل

يرى الانكليز ان بناء المستشفيات ، يقتضي السخاء في الاتفاق عليها ، فاذا كان المال المرصود لبناء مستشفى ما قليلاً يحتم عمل حساب لكل نفقة كبيرة وصغيرة ، تخير في نظره ان لا ينفق

(١) يشكر كاتب هذه السطور لاسب النزة محمد نهي عبد الهيد بك رئيس جمعية المؤاساة وسعيد جيمي اندي سكرتير الجمعية ان اتاح له زيارة المستشفى وبخص بالسكر الدكتور احمد النقيب الذي رافقه في هذه الزيارة يومين متواليين بسطاً له كل ما جل ودق من شؤون المنشئ الهندسية والصحية

ذلك المان في بناء مستشفى . وذلك لان الاساس عديم في بناء المستشفيات ، الهياكل المذيلة الكبيرة والرشاء في اختيار المعدات ومواد البناء والاثاث . قيل ان احد الاغنياء الانكليز وهب مستشفى مدلكس ثلاثمائة الف جنيه ، لبناء جناح خاص بالمرضات ، ورأية في ذلك ان عمل الممرضة من اشق الاعمال وأدقها ، فاذا لم تكن مرحلة النفس ، مادئة الاعصاب لم تستطع ان تقوم بعملها ، على خير وجه . واشترط ذلك الواهب ، ان يكون لكل ممرضة حجرة خاصة للنوم وأخرى للاستقبال : وان يحق لها ان تستقبل من تشاء في حجرتها الخاصة . فسعت ادارة المستشفى بكل الشروط الا لشروط الأخير ، واقترحت ان تمنح الممرضة حق استقبال من تشاء في بهو عام خاص بالاستقبال ، وقالت للواهب انه اذا رضى تعديل هذه الشروط اضطرت الى رفض الهبة . فقبل

والمخالصة ان الانكليز يحسون ان نفقات بناء المستشفى تكون بوجه عام بواقع ١٥٠٠ جنيه تقريبا الواحد . اي ان انشاء مستشفى فيه ٥٠٠ سرير يكلف نحو ٧٥٠ الف جنيه . غير ان الالمان وجسوها عنايتهم بعد الحرب ، الى بناء مستشفيات تجمع مزاجا المستشفيات الانكليزية ، ولكن لا تقتضي مثل نفقاتها . فبنوا مستشفى مارتن لوثر في برلين ، فبلغت نفقاته بواقع ٣٥٠ جنينياً فقط للسرير الواحد . وهو آخر ما بلغه فن بناء المستشفيات الحديثة ، من الاتقان وتوافر الشروط التي يقتضيها العلم والفن وقلة النفقة . وعلى مثاله بني مستشفى المؤاساة في الاسكندرية . بل ان مهندس مستشفى مارتن لوثر نفسه - ارنست كوپ - هو الذي وضع تصميم مستشفى المؤاساة وأشرف على بناؤه كان الرأي من قبل متجهاً الى جعل المستشفيات مباني متفرقة كل بناء خاص بمرض من الامراض ، او بطائفة متلازمة منها ، وذلك لكي يتوافر للمريض في البناء الصغير ، ما لا يتوافر له عادة في البناء الكبير : من نور الشمس والهواء الطلق . ولكن تقدم علوم الطب الحديث ، وأساليب المعالجة ، جعل حتماً ارتباط المباني بعضها ببعض ، اذ من المحتم على المريض الواحد ، في غالب الاحيان ان ينقل الى جهاز العلاج بالاشعة ، لتصوير عضو من اعضائه بالاشعة السينية ، او لترصده للاشعة التي فوق البنفسجية ، او لتحليل دمه او بوله ، او لخصه بالآلات خاصة ثابتة لا يمكن تنقلها . ومن الاسراف الذي لا مسوغ له ، ان يكون في كل بناء من مباني المستشفى المتفرق ، جميع هذه الأدوات ، والمجرباء الذين يستعملونها . لذلك نشأت فكرة انشاء المستشفى الحديث في بناء واحد ، تكون اجزاؤه المختلفة ، كالاغضاء في الجسم مترابطة منتظمة في وحدة شاملة وهدوا الى المهندسين ، في تحقيق هذه الغاية بلا تفريط في ما يحتاج اليه المريض من النور والهواء والراحة . فكان مستشفى مارتن لوثر في برلين ، ومستشفى المؤاساة في الاسكندرية ، مثالا لهذا الاتجاه الجديد . ومما يدل على خطورة هذا الاتجاه : ان مستشفى « غرانش بلانش » في ليون - وهو من اكبر المستشفيات في فرنسا وقد بلغت نفقاته نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات - كان قد بنىء انشاؤه قبل الحرب على اساس اجنحة متفرقة ، وفقاً للرأي القديم ، فلما بدت لمجلس

ادارته ، مزاياء البناء الواحد كما اوجزناها ، وعز عليهم هدم مبانيه جميعاً ، وحدوا بينها ، باتفاق واسرّب تحت الأرض حتى يستطيع ، نقل المريض في سريره ، بالمعدّ آناً ودرجاً في الاتفاق آونة من بناء الى آخر ، وفقاً لما تقتضيه اساليب العلاج الحديث

يقوم مستشفى المؤاساة على اكمة ، ترتفع نحو ١٨ متراً عن سطح البحر في بقعة تطل على بطيحة الحدراء وهي من اجمل بقاع الاسكندرية واصلحها لاقامة المستشفيات حيث الفضاء متسع والهواء نقي والراحة مرفوقة لمعد البناء عن ضوضاء المدينة وجلبة شوارعها بطالملك الصرح ، على كنف الاكمة فيروعك ما يتجلى في خطوطه من البساطة والجلال . طوأة مائة وعشرة امتار ، وعلوه ٥٤ متراً ومساحة الارض المبينة ٣٠٠٠ متر مربع ، ومساحة حرمه ٣٠٠٠٠ متر مربع وينتظر ان يحوّل الى حديقة غناء . فاذا اقتربت منه استصطك مدخل نظم مصد ، وابواب ثلاثة علو الباب منها ستة امتار معاربها من الحديد والبروز المخرم ، كأنها قطع من الدتلا في دقة صنعها ، تدخل بها الى بهو ، فترى في الجدار الجنوبي الذي يقابلك عند السخول مكاناً ينتظر ان يزمن بصورة زينة جلالة الملك وحواليها على الجدران الثلاثة اماكن لصور اخرى شخصية ورمزية ، منها صور المنحوت وبان سينا وكلوت بك . والى يمين هذا البهو ردهة ضخمة خاصة باستقبال جلالة الملك وتقابلها ردهة لاجتماع مجلس الادارة

والبناء ثمانية ادوار ، احدها تحت الارض وآخر على سطحها وستة فوقها . اما الدور الارضي ، فدور ان في الواقع وفيها الآلات والمكانات اللازمة لتوليد البخار ، وانابيب المجاري والاسلاك وما الى ذلك . ومما يدلك على عناية المهندس العظيمة ، جعله المجاري والانابيب مكشوفة بدلاً من ان تكون مطبورة في الارض لكي تسهل مراقبتها والسيطرة عليها اذا وقع خلل فيها . ويوزع البخار بانابيب ومواسير على المطابخ والغاسل او على مرجل ماء كبير يحوّل المستشفى بما يحتاج اليه من الماء الساخن لتدفئة الغرف وللاستعمال في مرافق المستشفى العامة . وفي هذين الدورين كذلك ماكانات التبريد ، وهي لازمة المستشفى لتبريد اثلاجات في المطابخ ، والغرف الخاصة بحفظ الجثث اذا لزم حفظها ، ولتبريد غرف المرضى متى اقتضى الجو أو العلاج ذلك . وماكانات التبريد تصنع ثلجاً قد لا يحتاج المستشفى الا الى قدر يسير منه ، ولكن ادارته اتفقت مع بعض الشركات على شرائه منها ، وسوف يكون بيعه معطر ايراد لا بأس به لادارة المستشفى

وفي المستشفى مولداتان (دينامو) للكهربائية احدهما قوته ١٦٠ حصاناً والآخر ١٠٠ حصان فاذا تعطل الواحد استعمل الآخر ، واذا تعطل الاثنان — وهو مستبعد — استطاع المستشفى ان يستمد القوة الكهربائية من شركة ليون او شركة سكة حديد الرمن . ولما كانت لجنة المستشفى تعنى عناية خاصة في اقتصاد كل ما يمكن اقتعاده من نفقات العمل ، ابتاعت مكثفات وبطاريات

خازنة لسكهربائية ، حتى اذا كان التيار التجاري رخيصاً ، أخذ وخزن واستعمل حين الحاجة اليه
وفي هذين الدورين كذلك آلة تجذب الهواء من بطون الطلق فوق المستشفى وتقيه بمصفاة من
الزيت وتصفية من الغبار والرطوبة ، ثم تنحى انقدر المطلوب من الرطوبة والدرجة المعبئة من
الحرارة او البرودة التي يحتاج اليها المرضى ، وتدفعه في انابيب خاصة بذلك الى الغرف
ولما كان نقل المرضى بسريره من حجرته الخاصة الى حيث يحتاج او يخصص ، من ضرورات
المستشفيات الحديثة ، كان كل باب من ابواب المستشفى على الاطلاق يتسع لكل سرير في المستشفى .
فبدلاً من ان يرفع المريض على نقالة ويسار به الى حيث يقتضي العلاج ، يدرج سريره من غرفته
الى المرآة او الى المصعد (الاسانسور) فيؤخذ الى غرف العلاج ، او يهبط به الى الدور الارضي
فيستقل بسريره الى الحديقة ، او يصعد به الى السطح للمعالجة باشعة الشمس اللطيفة . ولكي تستقب
للمريض جميع وسائل الراحة ، لا تربي غرفة من غرف المرضى ولها نافذة تطل على ممرات المستشفى ،
بل لكل منها باب كبير وشرفة تطل على الشمال الغربي او الشرق الشمالي . وبالعلة في الحرص على
راحة المريض ، جعل كل باب يطل على المرآة في حجر المرضى ، مزدوجاً وبين الممراتين نحو نصف
متر من الفراغ فتم للمريض الراحة التامة من الجلبة او الاين . اما الهواة فيدخل من تقرب في أعلى
جدار الغرفة ، ويفتح القسم الاعلى من باب الشرفة ، بطريقة تسهل التهوية ، من دون ان يحدث
تسار من الهواء ، قد يصاب المريض منه بقشعريرة . بل اذا ضغط المريض على زبده ، لا يقرع جرساً ،
ولكنه ينيق نوراً فتهب اليه الممرضة . ومن غريب ما رأيناه في هذا الباب في مستشفى المؤاساة ان
في غرفة الممرضة مصباحاً ينهبها يترجم الى ان مريضاً يدعوها ، فتهب اليه وتجده . وعند دخولها
تضغط زرّاً خاصاً بين بابي الغرفة فاذا دعاها مريض آخر وهي تعنى بالاول ، لم يتر المصباح في
غرفتها ، بل في غرفة المريض الذي تمالجه ، فتمرف ان مريضاً آخر يدعوها . وأعجب من ذلك ، ان
في غرفة القهرمان لوحة تدون من تلقاء نفسها ، دعوة كل مريض ووقتها ، وتلبية كل ممرضة ووقتها ،
فتستطيع ان تعلم في لحظة واحدة ، وبطريقة لا تقبل الخطأ ، المتواجبة من الممرضات في القيام بها عليها
اسرة المرضى في المستشفى ٤٥٠ سريراً ، ٤٥ منها للدرجة الاولى و ٩٠ للدرجة الثانية و ٣١٥
للدرجة الثالثة ، وهذه الاخيرة مجانية جميعاً . واذا اقتضت الضرورة امكن زيادة الاسرة الى ٦٠٠
سرير . وله عيادة خارجية تتسع الآن لنحو ٤٠٠ او ٥٠٠ مريض كل يوم . ولما تنوي الجمعية ان
تقيم في المستقبل عيادة خارجية تتسع لنحو ٤٠٠٠ مريض كل يوم . وكل غرفة من غرف المرضى
مزدوجة السقف والجدران والارض والابواب . ويحتوي كل غرفة من غرف الدرجة الاولى على
سرير واحد ، وكل غرفة من غرف الدرجة الثانية على سريرين ، وكل غرفة من غرف الدرجة الثالثة
على ست اسرة او اقل . بيد ان اللجنة ادركت انه اذا ثقلت وطأة المرض على مريض ما واحتاج الى
عناية خاصة ، استوى عند ذلك المريض الغني والمرضى الفقير ، فيستقل مريض الدرجة الثالثة الى

غرفة خاصة فيها سرير واحد ، وينال من العناية الخاصة ما يبالة المريض الغني ، وفي أجنحة الدرجة الثالثة خمسون غرفة في كل منها سرير واحد فقط

خمس من ادوار المستشفى الثمانية مخصصة للمرضى فالدور الاول خاص بالامراض الباطنية للرجال والثاني بالامراض الباطنية للنساء والاطفال والدور الثالث بعراض النساء والولادة وجراحها والرابع والخامس بمرحاة الرجال . وفي الدور الأرضي سبيلية كبيرة ومعمل لتحليلات الكيمائية والبكتيريولوجية وكلاهما مجهز بآلات واحداث الاجهزة الكيمائية والبكتيريولوجية . وفيه كذلك ردهة واسعة للاجتماعات والمحاضرات العلمية . اما الدور السادس فبنيه المطبخ والحمامات الشمسية وسكن الممرضات المبتدئات اللواتي يتلقين فن التمريض نظراً وعملاً ، ولكل منهن حجرة خاصة فيها سرير وخزانتان وماء جار بارداً وساخن . وكل دور من ادوار المرضى مؤلف من اربعة اجنحة ، جناح للدرجة الاولى ونافذ للدرجة الثانية ، اما الثالثة والرابعة فللدرجة الثالثة . وحجر المرضى كلها في مقلعة البناء ، اما حجر المؤخرة فلمسكن المرضى والعمليات الجراحية على اختلافها ، وقسم العلاج بالاشعة وقسم خاص بعزل المرضى المصابين بمحميات معدية

وتشتمل مرافق المستشفى ، من مطابخ ومساكن على احداث الوسائل واكثرها اتقاناً . المطبخ على السطح ، وجميع ادواته كهربائية . ترفع اليه مواد الغذاء من لحم وخضار ولبن بمصعد كبير ، فيطبخ الطعام بحسب ما تطلبه الممرضة المختصة في كل دور من ادوار المستشفى ، وهو متصل بمصاعد خاصة بمطابخ صغيرة في كل دور ، وفيه غرفتان باردتان لحفظ مواد الغذاء وفي كل منها ثلايب خاصة للتبريد والتجميد وجميع ادواته كهربائية . وكل مطبخ من المطابخ الصغيرة يحتوي على ثلاجة لحفظ الطعام فيها ، وجهاز آخر لحفظ الطعام الساخن ، وما يحتاج اليه الممرضة من ادوات المطبخ لاعداد ما يقتضيه بعض المرضى من طعام خاص يحتاجون اليه فجأة . اما الغاسل والمناشر والمكاوي ، حيث يتصل بياض المستشفى ويكوى بجامعة لاحداث الوسائل الطبية



اما اجنحة العمليات الجراحية فآية من آيات العلم الحديث . وهي في ثلاثة ادوار ، كل دور منها يحتوي على حجرتين للعمليات بينهما حجرة لتعقيم مجهزة باحداث الادوات ، ومنها معقم autoclave المائي جديد يفرغ من الهواء ، ثم ينفث فيه البخار من أعلى الى أسفل في حجر منفصلة احدها عن الاخرى ومتساوية جميعاً في ضغط البخار فيها ، فلا يبقى اي احتمال لاشعاع ككرة من الهواء الحامل للجراثيم داخل المعقم . ثم هناك حجرة للفصل مجاورة لكل حجرة من حجر العمليات ، بينها نافذة واسعة ، يستطيع الجراح ان يراقب المريض منها وهو يظهر يديه بعد اتمام العملية . ومصباح حجرة العملية لا ظل له واذا انطفئت لحادث مفاجئ في التبريد ، والجراح يعمل العملية اثار مصباح آخر - انارة اوتوماتيكية - يستمد تياره الكهربائي من بطارية كهربائية

خازنة تكفي لانهارة الصباح ثلاثة ساعات . وقد بنيت غرف العمليات ، حتى يستطيع حمل العمليات فيها على ضوء النهار - وهو في الغالب غير مستحسن ، لأنه يجبيء من ناحية واحدة وببقي ظلالاً على جسم المريض - او على الضوء الكهربي . فذا تبين ان الضوء الكهربي هنا مفضل على ضوء النهار ، لأنه يقرء وقرباً عمودياً على جسم المريض ، اقلعت النوافذ اقلالاً محكماً بتأثر سود لا تنفذها شعاة نور . ومن آيات قسم الجراحة غرفة للعمليات فيها جهاز للاشعة السينية . ذلك ان الطبيب اذا شرع في عملية لاستخراج مادة صلبة دخلت جسم المريض ، اهتدى الى مكانها بصورة الاشعة السينية . ولكنه احياناً قد يضل مكانه ، ويتعذر عليه نقل المريض ثانية لتصويره بالاشعة السينية وهو تحت المشرط فتستعمل الاشعة السينية مباشرة لتهدى الجراح الى ضالته . وقد قيل لنا ان في اوربا الوسطى لا توجد الا حجرة واحدة من هذا القبيل وهي في مستشفى هيدلبرج بمجنوب ألمانيا . ويقابل غرف العمليات غرف التخدير وغيرها ما يحجب مكابلاً لها

اما قسم العلاج بالاشعة - وقد تبرع بشفقائه البالغة ٥٠٠٠ جنيه المستر رينهارت التاجر الانكليزي بالاسكندرية - ففيه أحدث الاجهزة لهذا الغرض ، وهو حجر كان رئيسيتان بينهما حجرة صغيرة تجلس فيه الممرضة المختصة بهذا العمل ، بعد ما تضع في كل منهما مريضاً ، وتعين لها قوة الاشعة التي يتعرضان لها . وفي حجرة الممرضة وسائل دقيقة تمكنها من وقاية نفسها ، لأنه اذا قربت الاشعة النافذة من بابي الحجرتين او احدهما ، الى حجرة الممرضة تعرضت للخطر ، وهذه الزيادة تستطيع ان تتبينها في الواح زجاجية خاصة بتغير لونها اذا زاد النافذ من الاشعة عن قوة معينة . وعندئذ تخفف التيار او توقفه بأزرار . وجدران حجرة في السلاح بالاشعة ، وحجرة العمليات الجراحية التي فيها جهاز الاشعة السينية مبطنة بالرصاص والباريوم منعاً لاختراق الاشعة لها

جمعت جمعية المؤساسة معظم نقابات المستشفى من الاهدان عن طريق « اللواتيات والانصبة » التي نظمتها ، ومن هبات اهل الخير . ومما هو جدير بالشكر ان الاجانب كانوا اكراماً أسخرياء في تعضيدها فنفعها المستر رينهارت بأربعة آلاف من الجنيهات والمستر في ألف والمسيو كوتسيكا بعصر بألف والمسيو دفسير بألف . وقد بلغ ما تبرع به الاجانب لها نحو عشرة آلاف جنيه . وانا لناسف ان الوطنيين لم يجاروا الاجانب في ذلك حتى الآن . فان الجمعية لم تدن هبة من وطني يزيد على مائة جنيه ومجموع هباتهم قد لا تزيد على الف . ونحن نعلم ان ذلك ليس لتقصير اغنيائنا في السخاء على المشروعات الخيرية ، ولهم في ذلك آيات ، بل اننا نثق لهم اذا عدوا ان مستشفى المؤساسة ، مفخرة علمية واجتماعية لمصر وللقومية المصرية ، بادروا الى تعضيدهم بكل ما يستطيعون ، فيرضون بذلك شعورهم الوطني ، ووعيهم الانسانية انسانية

فؤاد مرشوف